مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

بسم الله الرحمن الرحيم

آراء ومناقشات

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

الفجور المستقبلي: محاولة في تفكيك المستقبليات
"على هامش ذكرى وفاة السيد مهدي المنجرة"

إدريس هاني*

وجدت نفسي داخل معترك المستقبليات من حيث لا أشعر. فسرعة القفز من التاريخ إلى المستقبل يؤمّنه مسار الهيمنة على الماضي، والحاضر، والمستقبل وإعادة نظم هذه التخارجات الزمانية نظما فلسفيا وأيديولوجيا. على الأقل تتيح لك عملية المقارنة إمكانية تأمل زمانيين يتعايشان في نوع من المفارقة في آن واحد. يستطيعون أن يروا فينا صورة ماضيهم كما نستطيع أن نرى فيهم صورة مستقبلنا. ولكن السؤال الذي يفجّر تحدّي المستقبل هو: هل لنا الحق قبل الحديث عن الإمكان في أن نختار مستقبلاً مخالفا لحاضرنا، وما قيمة مستقبل سنعيد فيه تحيين تخلفنا القديم، ومن يا ترى يرفض سيادتنا على مستقبلنا؟ في هذا الإطار كتبت قبل عقدين كتاب: "العرب والغرب: أية علاقة..أي رهان؟"، هناك حيث على الأقل تناولت مبحثا حول النبوءة، و التاريخ، و "البروسبيكتيف"، ومستقبل التنمية، ومستقبل أفريقيا، كما سأتناول في كتاب "ما وراء المفاهيم" مفهوم المستقبل واضعاً مفهوم "حفريات المستقبل". وكل هذا في انتظار اكتمال صورة ما أنشغل عليه في الفترة الأخيرة عن مستقبل الذهن البشري انطلاقاً من رصد مستقبلاته في مجال التحولات التي تستهدف الدماغ البشري، و مجال التفكير، و الفيزياء، و العدالة.

العلم بالمستقبل هو علم متطوّر وليس علماً مستحدثا. فلقد مارس الإنسان القديم طرقا عديدة في اكتشاف صور للمستقبل. وقبل عصر العلم كانت الكهانة قد تكفّلت بهذه المهمّة. وسوف يتأكّد لنا أنّ عصر العلم لا يعني بالضرورة القطع مع مخلّفات عصور ما قبل العلم في كيفية تدبير الزمان. فالعلاقة التي تنشئها الأيديولوجيا مع الزمان من شأنها أن تقع في أنماط الأسطرة و الكهانة. فالإصرار على انتهاك السيادة الزمنية للأمم قد يوقعنا في ضرب من التخييل الكهاني للمستقبل. إنّ أصل الخطيئة هي خطيئة الزمان. وحينما أكل آدم من الشجرة، إنما فعل ذلك بداعي أنّها شجرة الخلد؛ الخلد في الزمان، الزمان الممتد و اللاّنهائي..لكن الزمان الممتد و اللاّنهائي هو وحده الزمان الذي

* باحث، ومفكر مغربي.

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

يعفينا من مسؤولياتنا في المستقبل. في الخلود ينتهي القلق من المستقبل. إنّ قلق المستقبل يبدأ حينما ندرك أنّ هناك نهاية للتاريخ، وبالتالي ضرورة تدبير الزمان. إذن خطيئة الإنسان تبدأ حينما لا يصبح المستقبل مجالا للتفكير و المسؤولية أو حينما يركن إلى الخلود المطلق، فيصبح زمانه مهدوراً. إنّ المستقبل هو أفق زماني ومجال لتجلّي تطور الإنسان. وحيث لا يوجد تطور تنعدم قيمة الزمان، و تغيب فكرة المستقبل. كان لا بد لآدم أن ينزل إلى المكان المحصور ليدرك أهمية الزمان المحصور أو جغرافيا الزمان لتبدأ رحلة المستقبل.

لا يمكن أن يكون المستقبل إلاّ ملازما لشروط الجغرافيا. إنه مستقبل المكان و ليس مستقبل الزمان. بعد ماكيندر و الجغرافيا السياسية أصبح التاريخ تابعاً للجغرافيا. تصبح المستقبليات من فروع الجغرافيا. هنا لا بدّ أن نتحدث عن زمان أفريقي، و زمان أوربي، و زمان أسيوي...حتى النزاع المفتعل بين التاريخ، و البنيات هو في حدّ ذاته يعكس صداماً خفيا بين أنواع الأزمنة نفسها؛ زمن الأمد الطويل و زمن الظرفيات المتعلقة بالزمان الاجتماعي حسب التقسيم الثلاثي البروديلي. إنّ التحول بمفهوم الزمان خارج المفهوم التاريخي و مقاييسه الكلاسيكية تولّدت عنه أمكنة جغرافية جديدة ذات مقاييس متدرجة. التنمية المستدامة هي أهم منتج بفضل انفتاح الجغرافيا على الزمان والمستقبل. بل هي تدبير المكان و الجغرافيا عبر الزمان. لم تعد الجغرافيا مجرد مكان بل هي منذ اليوم علم تداخل المكان و الزمان، علم أثر المكان في الزمان و أثر الزمان في المكان.

في الاقتصاد السياسي للقيمة المضافة أدخل ماركس فكرة الزمان الضروري اجتماعيا لإنتاج البضاعة. كان لذلك أثر في تغيير مجرى علم كامل حول القيمة المضافة. إنّ الزمان اعتباري و مقيد و مشروط. فلكل جغرافيا زمانها و لكل قضية زمانها: زمان حضاري، زمان سوسيولوجي، زمان سيكولوجي، زمان البنية نفسها.. لكل بنية زمانها وتاريخها الخاص..لا يوجد تاريخ عام.

كان قسطنطين زريق ممن اهتدى إلى دراسة الزمان بوصفه مجالا حيويا قابلا للاستعمار. وليس التّاريخ وحده من تعرّض للاحتلال عبر محاولات تحريف حقائقه، بل المستقبل هو الآخر تمّ احتلاله بصورة من الصور. وأعتقد أنّ تحريف أي فصل من فصول الزمان هو احتلال لكلّ الفصول الأخرى. إنّ تحريف الماضي هو شكل من أشكال الهيمنة على الحاضر والمستقبل أيضا. ومن هنا ستكون المستقبليات تعاني التحدي نفسه الذي عاناه التحقيق التاريخي.

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

ومن هنا بات واضحاً أنّ اقتحام مجال التفكير المستقبلي سيكون مجالا لصراع أيديولوجي نظرا لما يصله بنتائج مباشرة بقضايا الثروة والتوزيع وتدبير الموارد البشرية. هنا يصبح المستقبل علماً تحرّريا، وهو بهذا المعنى يمثّل بعداً من أبعاد المقاومة.

- مستقبل التاريخ:

لقد أصبح المستقبل ميدانا لصدام الحضارات. نستطيع أن نقف على أهمّ مدارك نهضت عليها أطروحة صدام الحضارات لهنتنغتون ذات مرّة؛ و هي مدارك تستند إلى التّاريخ و الفوارق الثقافية منظوراً إليها نظرة بنيوية جامدة. كان المستقبل في نظر هنتنغتون رهين بهذه الرؤية التاريخية و الثقافية التي تعزز خيار القطيعة بين الشرق والغرب. فالمستقبل وفق هذا المنظور يجعل الكفاح من أجل التحرر أمراً عبثياً طالما أنّ الديمقراطية نفسها حقيقة جيوثقافية غربية. كنت قبل فترة أحاول أن أجد رابطاً بين المستقبليات والاستشراق. وبالفعل اهتديت من خلال هنتنغتون إلى الإمساك بخيوط هذه العلاقة، حيث أمكننا بالفعل الحديث عن مستقبليات استشراقية. لم يعد الاستشراق يرمي إلى بسط الهيمنة الأيديولوجية على كتابة التاريخ بل بات يرمي إلى كتابة المستقبل. فالمضامين الاستشراقية تسافر في الزمان الشرقي و تفصّله على طريقتها و أحياناً تقطعه أو تبتره أو تعيد تشكيله. وحين نعي التاريخ هنا على أنه قطائع أو أنه عبارة عن زمان متوقّف أو زمان بلا تاريخ، فنحن أمام تشكيل ممنهج للمستقبل.لا أريد هنا الغوص كثيرا في موضوع العلاقة بين الاستشراق والمستقبل، حيث هنا فقط نفهم سبب انتفاضات المستقبليين من أمثال المهدي المنجرة الذي وجد نفسه في مواجهة مع إرث ثقافي يحتكر صناعة المستقبل واستشرافه. وحينما يتم صناعة المستقبل من قبل القوى المهيمنة على الزمان فبالتأكيد تكون صناعة تستبعد الإنسان الثالثي ولا تترك له مكاناً للوجود إلاّ في شرطه الأدنى. وهذا ما جعلني أسمّي الصناعة الإمبريالية المستقبلية اليوم بالفجور المستقبلي. ذلك لأنّ المستقبليات الإمبريالية تسعى لأنّ تفجر أمامها في الزمان وليس في الماضي والآن فحسب. ولكن لتوضيح هذه الفكرة لا بدّ من تقديم مثال سريع عن هذه العلاقة الوظيفية. إنّ غاية التاريخ، و المستقبل، و السوسيولوجيا، و الانتربولوجيا في البرنامج الإمبريالي هي احتلال الزمان و المكان الثالثيين. وإنّ رفض الهيمنة الأيديولوجيا هنا للاحتلال لا يتأتى بالعزوف عن هذه العلوم وتلكم المقاربات، بل بتفجير السؤال الإبستيمولوجي من داخلها في شكل من الثورة المناهجية، و الانقلاب المفاهيمي، و دحض الغايات المؤسسة للأيديولوجيا التي تسعى لبناء شكل من المركزية المستقبلاتية. تحرير العلوم من هيمنة المركزية الغربية، و بالتالي أنسنتها هو شرط في تحقيق العدالة المستقبلاتية.

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

لقد بنى هنتنغتون حقائقه السياسية على حقائق الثقافة التاريخية التي كرسها المستشرق المخضرم برنار لويس. فلقد استدمج كل تلك المعطيات، وعمل على تصريفها تصريفاً سياسياً في سياق كان الغرب مهيّئا لاستقبال فكر القطيعة. لقد تمّ اختزال الشرق كلّه في حدث الحادي عشر من سبتمبر، حيث قامت به جماعات وظيفية أشرف الغرب نفسه على تكوينها على أنماط من العنف غير متعارف عليها في الشرق. كانت العملية التخريبية تلك تنقلنا فوراً إلى عالم هوليود أكثر مما تنقلنا إلى تورابورا حيث تزدحم الأكواخ البدائية. و لكن سيدفع العالم الإسلامي تحديداً ضريبة هذه العملية كشعوب، وكيانات بينما القاعدة تطوّرت، و انتشر الإرهاب أكثر، و تعزز نفوذ القوى المتطرفة بينما الكيانات العربية أرغمت تحت طائلة التدخل والغزو أن تعانق الهشاشة. رسم هنتنغتون خرائط للصدع الثقافي تكاد تعكس مضمون الخريطة الافتراضية التي سبق وقدّمها برنار لويس إلى البونتاغون الأمريكي لتصبح خارطة بديلة عن سايكس بيكو. بالنسبة للغرب نحو أمم هشّة و مبهمة الوعي والمصير، و هنا تبدو صناعة المستقبل ممكنة وجاهزة لقوم لا يعقلون. ومع أنّ دخول مفهوم القطيعة إلى الاهتمام العربي لدى بعض النخب الفكرية قد سعى إلى تجنّب حالة السكون التاريخي وتوقّف الزمان الثقافي، حيث تحولت القطيعة إلى رجاء و دعوة و أمل و ليس إلى مسار تاريخي، فإنّ الغرب إزاء هذه البنية الجامدة لم يعتبر القطيعة شأنا لها، بل إنّ البنية هنا حاضرة في كل عصر يسمه الغرب بالتّطور بينما يمكننا استحياء هذه الكوليشهات التاريخية في كل عصر وجيل عربيين. و هكذا، أمكننا مع أمثال برنار لويس أن نستحيي صورة الخوارج ونقحمهم في عصر السبرنتيقا في مسار حرب ضدّ ما بدا إرهاصات لتقدّم هذا المجال، وذلك وفق منظور خاص للقوّة الناعمة التي باتت عنصرا حاسما في لعبة الأمم القادمة. بالتأكيد فإنّ برنار لويس يؤمن بالقوة التقليدية ولكن بما أنّ القوة الناعمة باتت بديلا لا غنى عنه فقد توجّب تخريب البنيان العربي بأيدي أبنائه ولكن بعد إعادة تشكيلهم وفق صور وأنماط قديمة تصلح لحاضر ومستقبل العرب، حيث في نظر اللّاعبين هنا يبدو الماضي كالحاضر كالمستقبل بالنسبة إلى بنيات جامدة لا تستدخل عامل الزمان في نشاطها. يصلح الماضي للحاضر وللمستقبل في نظر السلفويات بوصفها تجسّد ثقافات مناقضة للتطور والمستقبل. فالسلفيات هي نقيض المستقبل. وسوف يقوم الغرب باستحياء صورة الحشاشين لكاتبها(= برنار لويس) وهو ذاته واضع خريطة ما بعد سايكس بيكو، ولكن هذه المرة حشاشون في الصورة النمطية للفتك كما تظهر في وثائق المستشرق المخضرم ولكن بأفكار الخوارج لتكتمل قصّة الفوضى الخلاّقة. إنّ استحياء الشكل الهجين الذي يشكل نصيبنا من الفوضوية (الخوارج)، سيضعنا أمام لحظة دراماتيكية في سياق تبلور الإرادة الإمبريالية للتمكين لأدوات التخريب وتكريس الإرهاب كهاجس مستقبلي. هنا يحلّ الأثر الاستشراقي في المستقبل العربي. وجب من الآن أن لا نحصر رؤيتنا في

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

الاستشراق بوصفه إعادة تشكيل التاريخ العربي والإسلامي بل وجب أن نتحدث عن الأثر الاستشراقي في تشكيل المستقبل العربي والإسلامي أيضا. وحيث أن المستقبل سيكون هو أقل عناء من حيث فرض السيناريوهات الممكنة التي تستجلب عناصرها من تاريخنا، فإنه سيكون مجالا للخيال والفوضى. ومع ذلك أرى نفسي في كثير من الأحيان متفهّما لهنتنغتون ولكنّني حتى الآن لم أكد أفهم فوكوياما. من يا ترى هذا الغبي الذي سيعتقد بنهاية للتاريخ في وضعية انتقالية بين حدثين ينتميان للحقبة نفسها. كان فوكوياما مثالا لمن يؤرّخ لتاريخ الغالب، لذا كان دائما عاجزا عن تبرير حماقته. ودائما سيجيب عن أي استفسار: إنّهم لم يفهموا قصدي. ورأيي أنّه هو نفسه لم يفهم شيئا من حركة التاريخ.

- المستقبل والأيديولوجيا:

جزء من نظرتنا هنا هو استكمال لهمّ رصد مناشئ وآثار الصراع الأيديولوجي في الفكر العربي عموما والفكر المغربي خصوصا. قيمة النقد الأيديولوجي هنا ليس بالمعنى الذي كرّسته بعض أشكال الماركسية الطوباوية، وإلاّ لا معنى لذلك حين نكتشف أنّه لا غنى البتة عن الأيديولوجيا ولا عن وظيفتها، مادامت هي في نهاية المطاف معنية بتحويل العلم إلى ثقافة، والدعوة إلى قناعة الجمهور. كانت نسبة المغاربة من الجدل حول الأيديولوجيا اصطلاحية في حدود اللغة، وبذلك هربوا من الإشكالية التي تتركها غوايتها على الوعي واللاّوعي. لم يكن المشكل في الأيديولوجيا كامنا في تنزيلها اللغوي. فلا الأدلوجة(العروي) ولا الفكرولوجيا(الحبابي) ولا الفكرانية(طه عبد الرحمن) غيرت من أمر الإشكالية شيئا. غير أنّ المطلوب هو بحث علاقة الفكرة بالوعي وعلاقتها بالواقع و التغيير و الحقيقة، هنا الإشكال. وكما كشف الإضلال الأيديولوجي عن نفسه في قراءة التاريخ ومقاربة الحاضر في الخطاب العربي كذلك المستقبل لم يكن لينجو من ذلك. وسوف نجد أنّ إحدى أبرز نقائض مستقبليات المهدي المنجرة أنّها مستقبليات سلفية، بمعنى أنّنا نسلك القهقرى نحو المستقبل. إنّ الوظيفة الإضلالية تدور مدار الإقناع وهي تمس ليس فقط الموضوع بل تمس الذات أيضا. سنكتشف في موضوع الزمان أنّ الأمر لا يتعلق بتزييف المفهوم موضوعيا بل ذاتيا (الذات التي تنظر إلى الزمان) البعد السيكولوجي للزمان، وهو ما يضعنا أمام تحدّي آخر، هو تحدّي هيدغر حول حقيقة الزمان برسم الزمانية التي يصبح فيها الزمان ذاتيّ لنا.

إذا نظرنا للزمان نظرة أعمق مما تمدنا به الرؤية التقليدية للزمان والتاريخ، فإنّنا نستطيع القول أنّ المستقبل لا ينحصر في المقاربة التاريخية بل لا بدّ من اجتراح وسائل ومقاربات جديدة من قبيل أركيولوجيا مستقبلية تبحث في

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

طبقات ومستويات المستقبل، أو أنتربولوجيا مستقبلية تبحث في البنيات القارة التي ستتعايش مع المستقبل وكيفية تفاعل البطيء مع السريع في حركة التاريخ. نحن إذن أمام ثلاثية منهاجية: تاريخ المستقبل ـ أنتربولوجيا المستقبل ـ أركيولوجيا المستقبل. ستمكّننا أنتربولوجيا المستقبل إن هي تمكنت من أخذ طريقها إلى هذا المجال من البحث عن بنية المستقبل، حيث يتحول المستقبل إلى قيمة بنيوية وليس فقط قيمة تاريخية إلاّ بالمعنى الذي يفيده مفهوم المدى البعيد بتعبير مؤرّخ الحوليات فرناند بروديل. كما ستمكننا أركيولوجيا المستقبل من رصد مستويات المستقبل وصيرورة الهويات الجماعية أو مقاربة الأيديولوجية في مداها الإدماجي والتبريري بتعبير بول ريكور الهادف إلى استمرارية الهوية.

ككل العلوم، لا يمكننا إلاّ التأكيد على أنّ المستقبل ـ وهو علم لم ينجز بعد ـ يطرح إشكالية مركبة ، تماما كالتاريخ. ماذا نعني يا ترى بتجاوز النظرة الكلاسيكية للزمان؟ نقصد بها الانطلاق من فلسفة الزمان التي كفّت أن تنظر للزمان نظرة موضوعية خارجانية بل تنظر إليه بوصفه خبر ذاتية للكائن. فكرة الزمانية بالمعنى الهيدغيري نفسه. أما بالنسبة للتاريخ فنقصد به ما عرّف به بروديل الزمن الجغرافي بأنه تاريخ شبه ثابت، تاريخ يوجد خارج الزمان وملامس لأشياء غير متحركة وباعتبار الزمان حسب بروديل أيضا والمدة والتاريخ يفرض نفسه بالفعل أو يجب أن يفرض نفسها على جميع العلوم الإنسانية. مفهوم القطيعة وأيضا ما كان ألمح إليه العروي كناقد أيديولوجي له نظرة للزمان تسمح بحدوث الطفرة والقطيعة مع رفض الانتقاء والتوفيق. هذا الوعي لا شكّ سيجنّبنا صدمة المستقبل كما سماها توفلر، باعتبار أنّ الوعي بالزمان له أثر على سلوكنا ومشاريعنا وطريقة تدبيرنا له.

من هنا أصبحت ضرورة الحفر في طبقات المستقبل لا غنى عنها وفي الوقت نفسه هي مهمّة خطيرة تفرض رؤية شمولية مما يجعل المستقبليات أكثر من أي اختصاص آخر هي أمّ العلوم، إذ لا تستغني عن علم من هذه العلوم ولا أي فنّ من الفنون بما فيها الشعر. إنّ خطورة المستقبل تكمن في كونه علما مسبقا بأحداث لم تقع. ولذا فهي معرّضة جدّا للأوهام والديماغوجية بوصفها في هذه الحالة إمّا أن تكون علمية أو لا تكون..إما أن تكون معرفة أو شعوذة. فكما أنّ تحريف التاريخ وأدلجته يجعل منه أسطورة فكذلك المستقبل هو معرض للانحراف والأسطرة. وكما أنّ التاريخ يكتبه الغالبون فالمستقبل أيضا يرسمه الغالبون ويحلم به المستضعفون. يكتب الغالبون التاريخ بينما يكتب المهزومون مرثيات.

- المستقبليات العربية:

تطرح إشكالية المستقبليات في منظومة الفكر، و القيم العربية تعقيداً إضافياً: إنّها ذاتها إشكالية الزمن و كيفية تعقله داخل هذه المنظومة. فلا زال السؤال التاريخي سؤالاً محيّراً ومقلقاً. لقد دخل العرب تحدّي التفكير

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

المستقبلي بينما لازالوا يجدون حرجاً في الجواب عن السؤال: ما الماضي؟ وبما أنّ المستقبل هو الوجه الآخر للتاريخ، فقد وجد الفكر العربي نفسه يعيد إنتاج الأزمة نفسها في طريقة تبنّيه للمستقبل. فالهشاشة التاريخية تنعكس بشكل واضح على طرق تصورهم للمستقبل. لقد كان العرب سبّاقون إلى الكتابة التاريخية بينما الكتابة المنهجية للتاريخ حققت ثورتها الابستيمولوجية في القرن التاسع عشر كما ذهب فرنسوا شاتلي.

كان ابن خلدون ينهي كلامه التاريخي بالقول (ولله في خلقه شؤون)، وهو ما يربط بين الماضي والمستقبل، أي أنّنا أمام قوانين تاريخية وليس أحجيات للتسلية.

- أفريقيا والمستقبل:

خشية من الفجور في المستقبل كان لا بدّ من الإضاءة على تهافت المستقبليات الأفريقية. في إحدى الملتقيات التي ضمّت خبراء عن المستقبل بالشرق الأوسط وأفريقيا كان هناك الكثير من الحماسة لتكرار الأخطاء نفسها الناتجة عن انحراف أنماط التفكير وانحراف مشاريع التنمية. وربما اعتقد البعض أنّ الدعوة ناجزة اليوم لتحويل المستقبل من علم للنخبة إلى علم عام. قد يكون ذلك مهمّا على مستوى التحفيز و إشراك الجماهير في الوعي بخطورة المستقبل. لكن ثمة رهانات أخرى يجب حسمها داخل النخبة نفسها بخصوص أي مستقبل نريد. إن مرحلة الاسهلاك العمومي للمستقبل لم تحن بعد. وعلى كلّ ليس المستقبل موضوعا لصناديق الاقتراع. حيث إن دمقرطة المستقبل بهذا المعنى أنّه سيصبح ملكا لبارونات المال و الرأسمالية المتوحّشة. نعم يجب تحسيس الجمهور بالكوارث البيئية التي تنتظر مستقبلا لا يملكون فرصة لاختياره. وبالتالي كان من بين الأفكار المطروحة أنذاك، هو الحاجة إلى مزيد من الاستشراف استنادا على جهودنا وليس على النماذج الاستعمارية. في بداية الألفية الثالثة حضرت مؤتمرا في طهران نظمته دانشكاه تربية مدرس، وبرعاية من اليونسكو أيضا.

أثار انتباهي الحديث عن العلاقات الثقافية والحضارية بين إيران وأفريقيا. وكان محور استشكالي على المداخلين هو ضرورة اعتبار الفروق وعدم التعاطي مع أفريقيا كوحدة جيوسياسية وثقافية. هناك كنت أكثر واقعيا في التعامل مع رهانات أفريقيا الشمالية ذات الميول المتوسطية وأفريقيا جنوب الصحراء وأفريقيا القرن الأفريقي الأميل إلى مشاكل الشرق. غير أنّ الرؤية المستقبلية المفعمة بالأمل تسعى إلى التعاطي مع أفريقيا كوحدة قارية. وفي الحقيقة لا زلت متردّدا في اعتبار واقعية ذلك. لقد كان هدف التوحيد القارّي حلما لدى الجميع. غير أنّ واقع القارات أنّها تعاني من التّنوع والتشتت والفوضى. ولكن في إطار الحدّ الأدنى ممكن أن نتحدّث عن الوحدة الجيوستراتيجية القارية.

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

فالتبادل التجاري الواقعي بين شمال أفريقيا وشمال حوض البحر المتوسط هي أكثر من التبادل التجاري بين شمال أفريقيا وبلدان جنوب الصحراء. من هذا المنطلق كانت رؤية الدكتور مُحَمَّد منصور من مصر على قدر من الأهمية في حدود ما عبّر عنه بالقواسم المشتركة بين البلدان الأفريقيا مما يعزز رفض الفاصل الصحراوي بين شمال أفريقيا وجنوبها باعتباره فاصلا سياسيا واستعماريا، كما يعزز حقيقة أنّ الجميع هنا يسبح في فضاء استراتيجي واحد. كانت وجهة نظري هنا هي أنّ منطقة الصحراء بالفعل يجب أن تكون واصلة لا فاصلة كما ذهب مُحَمَّد منصور لا شكّ في أهمية ذلك. كما أن علاقة العرب بأفريقيا هي علاقة غير حاسمة ، فلقد كان هناك سباق عربي ـ عربي لاستعمال أفريقيا في نزاعات عربية ـ عربية. والأمثلة على ذلك كثيرة. الباحث جوليوس كاروكي هو نفسه متّفق معنا: التقسيم بين شمال وجنوب أفريقيا ليس صحيحا، فأفريقيا واحدة. كما أنّ الأفكار في نظره تسافر من الشمال إلى الجنوب والعكس أيضا. الهجرة هي نفسها تفيد في توحيد أفريقيا، هنا الدّور الإيجابي للأزمات.

لقد ساد كثيرا الحديث عن مستقبل أفريقيا وتنميتها واستعملت أرقام كثيرة. لكن المزاج المهيمن على مستقبليات أفريقيا مهجوس بفكرة اللّحاق بركب القارات المتقدّمة. إنهم يفكرون كيف يربطون أفريقيا بالدورة الهجينة للاقتصاد السياسي المعاصر الذي أعلن الإفلاس. إنهم في نظري يعملون على تخريب أفريقيا، ذلك المهد الذي ظلّ خصيبا وادخر ليكون بديلا عن أنماط الحضارة المادية التي بلغت الباب المسدود. إنّ أفريقيا قارة طفولية مقارنة بالقارات العجوز. والزمان نفسه بالنسبة إلى سيكولوجيا الأطفال مطلق يستوي فيه التاريخ والمستقبل. ما هو مستوى العقل الذي يليق بأفريقيا المستقبل؟ هل هو العقل الديكارتي؟إنّني منذ زمان أخشى أن تفكّر أفريقيا مثل الغرب. ذلك لأنّ القيمة المضافة لأفريقيا هي أنها لم تلوّث بعد بحضارة إنسان ذي البعد الواحد بتعبير ماركوز. أفريقيا أو أثينا السوداء هي نفسها أثينا قبل أرسطو، هي أثينا قبل سقراطية.

- وماذا عن مهدي المنجرة:

كتبت قبل سنوات مقالة نقدية حول مستقبليات الدكتور المهدي المنجرة، و صفتها بالأيديولوجيا المستقبلاتية، وذلك في سياق محاولة لتكريس شكل من الأركيولوجيا المستقبلاتية التي يقدحها السؤال المشروع دائما: أي مستقبل نريد؟ تحاول الأيديولوجيا دائما إزاء المستقبل أن ترتكب الأخطاء نفسها التي ارتكبتها إزاء التّاريخ. ذلك لأنّ الأيديولوجيا غير عابئة بالزمان ولا حتى بالمكان مع أنّ ضرورتها هي غير زمكانية. ولذا فهي لا تترك فرصة

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

للاختيار بين طبقات المستقبل وممكناته. في تلك الأثناء ركّزت على قياس النموذج الذي اعتمده مهدي المنجرة في نقد الوضعية التنموية في العالم الثالث. وحينئذ كان لا بدّ أن أؤكّد على أنّ مشكلة المهدي المنجرة كانت دائما تتعلّق بغياب الحدس السياسي، ومن هنا كان مقتله. وفي إحدى المناسبات جرى حديث بيني وبين بعض الخبراء الغربيين الذين أعجبوا بجرأتي على نقد مستقبليات المهدي المنجرة، ولما استمعت إلى مبرراتهم أدركت أنّ الأمر يتعلّق بسوء فهم كبير. لقد انتقدوه من حيث أوافقه، وربما وافقوه من حيث أخالفه. لقد أزعجتهم مواقف المهدي المنجرة بوصفه مناضلا ثالثيا تصدّى على مدى عقود للاستعمار بمعناه الثّقافي. كان لا بدّ أن أعود لإعادة الاعتبار لهذه التجربة المميّزة. ومحاولت فهم القدر الأيديولوجي والحجاجي لكلّ صناعة قدّر لها أن تستنبت مغربيا. لكن حديثا جمعني مع المرحوم مهدي المنجرة في بداية التسعينيات من القرن الماضي جعلني أقف على عدم تكامل الخبرة الأيديولوجية مع السياسية مع الثقافية لبناء رؤية مستقبلية خارج قدر التوتّر. ربما كان المنجرة يومئذ على قدر من التلقائية حينما أخبرني بأنّ كلّ أفكاره الدينية يستلهمها من يوسف القرضاوي. ولكنني لم أكن لآخذ كلامه مأخذ الجدّ لأنّني أعرف أنّ القرضاوي باع الدين للناتو بينما رفض المنجرة أن يبيع الثقافة للناتو. أحيانا البساطة تقتلنا وتفسد كلّ شيء.

لقد قدّر للمستقبليات المغربية مع مؤسّس نزعتها أن تتلبّس بمزاج سلفي. و لعل تلك هي واحدة من مفارقات الخطاب المستقبلي للمهدي المنجرة. فالمستقبل هنا منظور إليه من منظور سلفي، أي النظرة السلفية للمستقبل – و نقصد بالنظرة السلفية تلك النظرة نفسها التي عالجها عبد الله العروي معتبرا إيّاها مقتلا لفكر النهضة والإصلاح – . وقد كان العروي من أوائل من لفت إلى الجذور السوسيوثقافية للوطنية في المغرب وهي أطروحته الأولى، غير أنّ العروي تحدّث في الأيديولوجيا العربية المعاصرة عن ثلاث أنماط من التفكير: الشيخ، والسياسي، التكنوقراط. لكن مقاربة عبد الله العروي تناولت هذه الأنماط لا سيما فيما يخصّ المغرب بعيد الاستقلال مقاربة فصلية لا وصلية، بمعنى آخر لم يتناول حالة النمط المركّب في خطاب تتعايش فيه الأنماط الثلاثة بنوع من المفارقة. ومثالي على ذلك هو البروفسور مهدي المنجرة، فهو يحتوي في خطابه المستقبلي الأنماط الثلاثة معا. إنّ لهذا الأمر أبعادا موضوعية. ليست النزعة السلفية التي دمغت العقل الإصلاحي مسألة اختيار، بل هي قدر التجربة المغربية خصوصا والعربية عموما. بالنسبة للمغرب ورث هذه النزعة من خطاب السلفية الوطنية التي شكّلت أيديولوجيا الحركة الوطنية. نقصد في المغرب بالسلفية الوطنية نمطا من التفكير الذي يجمع بين الأصول التقليدية والحداثة. يبقى المنجرة سليل هذه التجربة باعتباره امتداد لنزعة الحركة الوطنية وأيديولوجيتها السلفية الوطنية. تلك السلفية التي تقبل بالأبعاد التحررية والوطنية والحضارية ولا شأن لها بالسلفية المتطرفة. من هنا يطلق المغاربة على كلّ دعوى تحترم التراث وتبتغي

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

التطور بالحركة السلفية مثلما أطلقوا الوصف نفسه على حركة السيد جمال الدين الأفغاني. من هنا نجد المنجرة يستحضر الآراء نفسها ويمنحها بعدا مستقبليا كما يطعمها بخبرات فكرية جديدة. فهو يعتبر أنّ الإسلام هو محور الحرب الحضارية مع الغرب من حيث أنّ الغرب في نظره يخشى إلى حدّ الرّهاب من ثالوث: الديمغرافيا، والإسلام، والكونفوشيوسية.

و ككل مناضلي الحركة الوطنية يعتبر أنّ الإسلام خطا طريقه مع الأفغاني، ومُحَمَّد عبده، و رشيد رضا و جاء كحركة تحريرية. فهو الذي حرر دول العالم العربي والإسلامي وليس الأيديولوجيات التي قدمت من الغرب. لكنه في نفسه الوقت يؤكّد على أنه بالنسبة للمغرب سوف نشاهد نماذج متخلفة في الدين مثل الزوايا وبزوغ التحالف بين المخزن وفئات مرتزقة تستعمل الدين والإسلام. لكن المنجرة وخلافا لما سلك عليه خطاب السلفية الوطنية كان يدرك أنّ ما وقعت فيه الزوايا هو نفسه ما وقعت فيه الحركات الإسلامية حين أصبحت مدعومة في أفغانستان من الغرب. ويشرح هذا الأمر مدافعا عن السلفية الوطنية ومميزا لها عن تطرف الحركات الإسلامية ذات الخلفية الوهّابية المتطرفة حين يقول بأنه صرفت أموال باهضة من الخارج جاءت لتشجع بعض الحركات الإسلامية التي تحارب بأي وسيلة التفكير والتنوير وضد التيار الإسلامي التنويري الذي عرفناه في المغرب مع علال الفاسي والمختار السوسي أو مع مالك بن نبي في الجزائر أو مُحَمَّد الغزالي في مصر.

وفي هذه الشهادة يؤكد المنجرة على نزعته لتيار السلفية الوطنية. وتتأكد هذه النزعة نفسها في اعتباره الحداثة قبل كل شيء هي إعادة قراءة دائمة للماضي في رؤية مستقبلية للتاريخ، وليست الحداثة بضاعة قائمة على المنتوجات المستوردة، وإنما هي إبداع يتكيف مع التطوير. في حديثه ناعيا الأستاذ قاسم الزهيري يصفه بـ" المسلم التقي والمنفتح في إطار تقليد الشيخ شعيب الدكالي والسي علال الفاسي والفقيه بلعربي العلوي والفقيه المختار السوسي وسيدي المدني بن حسني والفقيه الزموري والسي عبد الله كنون وآخرين".

- السلفية المستقبلاتية:

تتجلّى ملامح السلفية المستقبلاتية للمهدي المنجرة في نزعته إلى البحث عن النقاء القديم في مستقبل يبدو هنا مجرد هروب من فشل تاريخي أو تعويض عن إخفاقات تاريخية. فالمستقبل لا يمكنه من منظور واقعي أن يكون سوى هذا الواقع في وضعية أخرى تستصحب معها الكثير من الأزمات، كما أنّ للمستقبل رصيده من أزمات أخرى لا نعرفها. إنّ إهمال تعقيد الواقع وتعويضه بتعقيد الأرقام التي أسميها هذيان الأرقام، بحيث أنّ وظيفة الأرقام في أي أيديولوجيا تنموية هو بثّ التشاؤم أو المبالغة في التفاؤل. بالأرقام يستطيع مناضلو البيئة أن يوحوا بأنّ يوم القيامة غدا

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

سيحصل كما بالأرقام يستطيع محترفو الماركوتين أن يقنعوك بأنه غدا ستكون أكبر ميليارديير. الأرقام وحدها لا تقول شيئا عن المستقبل. وأحيانا نستعمل الأرقام لنستهين بالقدر الخفي للتاريخ والجغرافيا. وسنكتشف أيضا أن مستقبليات الأستاذ المنجرة تستبعد تعددية الزمان ولا تؤمن بابتكار النموذج الخاص بدل فرض النموذج الياباني. يتجلى الموقف السلفي أيضا هنا في اعتبار المستقبل شكلا من التاريخ المستعاد، وهنا بالفعل نكون أمام شكل من التقهقر نحو المستقبل وليس التقدم نحو المستقبل. نتساءل هل بالإمكان قيام مستقبليات على الانفصال أو الاتصال؟ قد يبدو دعاة القطيعة كما هو العروي داعية لمستقبليات أكثر وضوحا، لكن بالنسبة للمنجرة فالمستقبليات لا تنفصل عن القيم المحورية للتراث نفسه. بل يمكن أن نخرج بانطباع من الخطاب المستقبلاتي المنجري بأنّه علّق المستقبليات الثالثية على محورية القيم. ولعل هذا هو أقوى ما في أطروحته المستقبلاتية. ومن هنا جاءت مستقبليات المنجرة مشوبة بالكثير من النزعات الأيديولوجيا باعتبار أنّه لا يوجد خطاب ثوري من دون أيديولوجيا. والمستقبليات في مزاج المنجرة هي علم ثوري بامتياز. هكذا جاءت كتاباته عبارة عن حجاج مستمر.

وراء الخطاب التشاؤمي للمنجرة المشحون باليأس يوجد أمل مستقبلي كبير. وطبيعي أن تتظاهر المستقبليات بنوع من التشاؤمية خلافا لتفاؤلية اليوتوبيا. فالصرامة العلمية تذهب الرومانسية عن سيناريوهات المستقبل. غير أنّ أهم موضوع للمستقبليات يتعلّق بمصير الاقتصاد السياسي. إنّ السوق كما يذهب كارل بوبر يتطلب دولة في نهاية المطاف. وبما أنّ ميلاد الدولة . الأمة تزامن مع تطور الاقتصاد السياسي، كانت مشكلة المستقبليات هنا مضاعفة. فالأرقام التي تكشف عنها الإحصائيات والتوقعات على صعيد الإنتاج والتوزيع والاستهلاك والموارد الطبيعية ومستقبل البيئة تؤدّي إلى التشاؤمية. إن المستقبليات هي الابن البار للمالتوسية في نهاية المطاف. لقد تحوّل الواقع العربي والعالمي برمته في نظر المنجرة إلّى واقع إحباط ونكبة. من ناحية لا شكّ أنّ الواقع اليوم فيه جانب من هذه الفظاعات. نتساءل مثلا اليوم كيف كان سيكون موقفه مما يجري في مجال تدبير قطاع التعليم والثقافة والتنمية في بلادنا. ماذا كان سيكون موقف مهدي المنجرة من موقف وزير التعليم العالي في حكومة البيجيدي الذي وجد مخرجا لعلاقة التعليم بالشغل في التضحية بالعلوم الإنسانية؟ ماذا كان سيكون موقفه إزاء دعوة إحلال الدارجة محلّ العربية الفصحى في التعليم؟ ماذا سيكون إزاء التدهور القيمي في تدبير الشأن العام ومسألة النموذج؟ ماذا عن مستقبل الثقافة والسياسة الثقافية التي لا توجد فيه أي حصيلة حقيقية؟ ما قيمة الثقافة وثقافة القيم في الدستور والعرف والتدبير الحكومي وبالتالي ما مصير معركة القيم الجديدة؟.

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

في سؤال المنهجية كنت أرى أنّ مستقبليات المنجرة فتحت مجالا لم يكن مورد اهتمام محلّي. وكان لا بدّ أن تكتسب المستقبليات شيئا من الاندفاع والحماسة والكثير من الأيديولوجيا والرومانسية. ففي العادة لا بدّ أن تأخذ مرحلة التأسيس هذا الزخم من الانفعالية. وهي انفعالية لا بدّ منها مالم تتحوّل إلى عائق معرفي في مجال كان لا بدّ أن يتطور ليتحول من شبه علم إلى علم حقيقي. إن الأيديولوجيا في مرحلة الشطط من شأنها أن تحرف المستقبل والتاريخ والجغرافيا أيضا. إن أدلجة المستقبل تؤدّي حتما إلى فتح المستقبل للجدل وبالتالي سنكون دائما أمام شكل من الحجاج المستقبلاتي. إذا كانت وقائع التاريخ مع وقوعها تطرح إشكالية الكتابة التاريخية فمابالك بأحداث المستقبل التي لم تقع؟ الأيديولوجيا المستقبلاتية هي هنا لعلها الأخطر. إنها علاقة المستقبليات باليوتوبيا..هذه لامكان وتلك مكان محتمل.

ومع أنّ مستقبليات المنجرة كانت قد رأت أنّ النموذج الأثير للعالم العربي هو اليابان، فإنها بذلك قلّصت من فرص انتقاء النموذج الأقرب. إنّ الانتقاء أمر مرفوض في مجال الحداثة كما نحى عبد الله العروي لكنه مقبول وتوافقي في نظر الجابري. هناك في نظر هذا الأخير توجد حداثات وليس حداثة واحدة. وبالتالي أي حداثة نختار. وعلى الرغم من أن العروي يرفض الانتقاء لكنه عاد ليؤكّده من خلال وجود ماركسيات عديدة : أي ماركسية تنفعنا في العالم العربي حينما كان يقترح المدرسة التاريخانية الماركسية كمدرسة ضرورية للعرب. بما أنه لدينا تراثات وحداثات ألا يعني ذلك أنّ أمامنا مستقبلات؟ ألا يمكننا والحال هذه أن نتحدث عن مستقبل عام وآخر خاص؟ عن مستقبل لكل تاريخ ومستقبل لكل جغرافيا؟ هناك إذن ثلاث أسئلة رئيسية طبعت الأيديولوجيا المغربية:

سؤال العروي: أي ماركسية نريد من أجل تحقيق الحداثة؟

سؤال الجابري: أي حداثة وأي تراث نريد؟

سؤال المنجرة: أي مستقبل نريد؟

وسؤال طه عبد الرحمن: أي عقلانية نريد؟

هي إذن قصة ما نريده وما لا نريده. مدار وانشغال الفكر المغربي ليس المنجرة فيه بدعا بل هو يمتح من النبع نفسه ومن الهواجس الفكرية نفسها.ربما يصعب علينا مجارات هذه النزعة التشاؤمية حتى الآخر. ولكن ثمة ما يمكن التنبّؤ به من مخاطر وويلات وحروب. مثلا نستطيع الإشارة إلى أنماط الحروب البديلة عن الحروب الكلاسيكية التي بدت في نظر الكثير من الخبراء بأنها مستحيلة. ليس فقط نظرا لأسباب تتعلّق بالقانون الدولي ولا حتى بتغيير نظام الأقطاب والأحلاف بل بسبب التطور التقني وبروز أنماط من الحرب التي جعلت الحرب كما يعبر روبرت أوين

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

بالحرب بين النّاس. وهذا ما سيجعل النمط القادم للحروب هو الإرهاب بأشكاله المتعددة. كما أنّ الحروب ستظلّ قدر المجتمعات البشرية. وأنّ مجتمع السلم الدولي بنكهته الرومانسية التي تغنت بها أدبيات اليوتوبيا لم يقترب بعد. فالحرب ستكون حول ما لا يمكن وجود بدائل عنه. فالطاقة التي شكلت محور الحروب السابقة ستتراجع لأسباب تتعلق ببروز حقول نفط وغاز بما في ذلك الغاز الصخري في مناطق مختلفة خففت التوتر والاستنزاف الطبيعي والسياسي من منطقة الشرق الأوسط، وكذلك بروز أشكال من الطاقة البديلة، لكن ستظل الحرب الأخطر هي حول ما لا بديل عنه، أي حرب المياه. وهذا يتوقف على مصير وتطور تقنية تحلية مياه البحر بكلفة متدنّية؟ من هنا مستقبل المناخ، مستقبل المياه. نرى من الأهمية بمكان وفي ظل الحروب العالمية حول الثروة الطبيعية وتقسيم الجغرافيا إلى المناداة بعدالة مستقبلاتية، أحد وجوهها التنمية المستدامة..

مسألة القيم مسألة مركزية في مستقبليات المنجرة. وهي مسألة قبل ذلك مركزية في عموم الاشتغال الأيديولوجي المغربي. لا يوجد نصّ من النصوص يخلوا من الإشارة لمركزية القيم وأهميتها وكذا إشكاليتها. تحضر القيم في نصوص الحبابي الفلسفية وحتى الاستشرافية باعتباره ممن عاقر الفكر الاستشرافي واهتمامه بما سمّاه بال" الغدية"، كذلك سنجد مدار أعمال عبد العروي حول إشكالية القيم وعلاقة القيم القديمة بالجديدة. سيكتب الجابري حول منظومة القيم العربية لينهي بذلك سلسلة نقد العقل العربي، كما سيكتب طه عبد الرحمن كتاب " النقد الأخلاقي للحداثة"، وسأكتب لاحقا كتاب:" أخلاقنا: في البحث عن فلسفة أخلاق بديلة". بالجملة فإن الخطاب الأخلاقي هو خطاب حاضر/غائب في الفكر والسياسات. فالحكومة نفسها التي يترأسها تيار التوحيد والإصلاح تتعاطى السياسة برسم المقاصد والقيم. لذا يسهل الإطاحة بها بالقيم أيضا. هنا المشكلة تكمن ليس في مبدئية القيم بل في الطريقة التي يدار بها النقاش حول القيم في المغرب. إنّ القيم تحضر هنا حضورا ديماغوجيا يستند إلى الحجاج السياسي والفكري. هو شكل من أشكال ما سمّاه شاييم بيرلمان بإمبراطوريا الخطابة. حينما تغطّي الخطابة حقلا واسعا بما في ذلك فلسفة القيم. في كتابي:" أخلاقنا" يمكن الحديث عن نقد لمنظومة القيم السائدة أيضا، بحثا عن قيم واقعية وقابلة للتحقق. لم يكن الحديث هناك عن قيم في الرؤوس بل عن موقعية القيم في العملية النهضوية، بعيدا عن الحشو القيمي النظري والخطابي الذي لم يخرج منه بعد العقل العربي إلاّ بنوع من الازدواجية والفصام. هنا الازدواجية ليست نفاقا بل عجزا عن الخروج بالقيم من حيز الخطابة إلى حيز المؤسّسة.

- هل فشلت مستقبليات المنجرة؟

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

من حيث المبدأ لا يمكننا الحديث عن فشل المستقبليات كفكرة شقت طريقها في المجال المغربي والعربي ووجدت لها اهتماما من قبل عدد من المهتمين والخبراء. لكن كان بالإمكان أن تخطو المستقبليات خطوات أبعد من ذلك على المستوى النظري وأيضا على المستوى المؤسّسي. لقد فشل المنجرة في تكوين نخبة أو إيجاد مدرسة متخصّصة في هذا الفن. لقد خلّف أعمالا وكتبا هي الأكثر نفاذا في عالم المطبوعات في المغرب. كما كان له عدد من الأنشطة الدّولية أغلبها في اليابان من حيث هو رئيس ومؤسس جمعية الصداقة المغربية ـ اليابانية. ولكنه لم يخض في تأسيس أكاديمية للمستقبليات لا في المغرب ولا في المجال العربي. لقد بقيت المستقبليات صناعة تكاد تنحصر في من حيث التنظير في الأستاذ المنجرة مما جعل مشروعه مشروعا فرديا لا مؤسسيا. الأثر السلبي لذلك يتجلّى في أنّ المستقبليات لم تخرج بعد من عهد الهيمنة الشخصية للمهدي المنجرة ولم تتحوّل إلى فنّ تتقاسمه الأجيال بعيدا عن نزعة الوراثة والهيمنة الروحية. بتعبير آخر لا زال المنجرة هو أكبر من علم المستقبليات في المغرب، مما حوّله إلى عائق لتحقيق الطفرة داخل هذا العلم والمضي به إلى ما بعد الشّخص. ولكن هذا لا يعني عدم وجود عينات من الباحثين المستقبليين الذين حاولوا مواصلة أعمال ودراسات قويّة وأقلّ أيديولوجية وفي صمت أكاديمي.

أما فيما يخصّ المهدي المنجرة فقد كانت لديّ ملاحظات تتعلّق بطريقته وأسلوبه ومزاجه. فهو من ناحية التكوين والخبرة الدولية كان حالة فارقة ومميزة بين أفراد جيله. غير أنّني كنت دائما أعتقد بأنّ المستقبلي الناجح يجب أن يتوفّر على صفات ومزاج خاص. فالمستقبليات ليست علما فحسب بل هي قبل ذلك نباهة وحدس؛ حدس حاد بالأحداث بالإضافة إلى إمكانات فائقة في التحليل الشمولي مع توفّر معطيات حقيقية غير موهومة. هنا كنا ندرك ومن خلال تجربة المنجرة كلفة أن يكون المستقبلي معزولا أو غير قادر على الانخراط الطبيعي في العملية الثقافية للمجتمع وتدبير عملية التواصل بشكل ناجح. إنه بالتالي مشروع لم ينجز. باختصار نستطيع القول إنّ ما كان يميّز مهدي المنجرة في هذه المغامرة المستقبلية هو كونه صاحب تكوين عالي جدّا وخبرة دولية كبيرة ورجل حجاج بامتياز. وكانت الشعبوية طافحة في أسلوبه الحجاجي، من هنا كان مقنعا ومؤثّرا من خلال مواقفه وحركاته، فقلمّا أنهى محاضرة وسط الجمهور من دون قلب الطاولة على المنظّمين أو مراكز الاستقبال، وهو بذلك كان يكتسب جمهورا كزعيم سياسي، على الرغم من أنّه كان يائسا من الأحزاب السياسية. وبقدر ما كان يتمتع بتكوين عالي كان نصيبه من الحدس خفيضا أو متوسّطا عادة ما يختفي خلف التحليل والأرقام. ثمة افتقار حادّ للمعطيات بعيدا عن الأرقام التي لا تقول شيئا في الغالب. وهذا أمر طبيعي لأنّه لم يؤسس له فريقا للتشاور أو فريقا للعمل مهمّته جمع المعطيات وتحقيقها.

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

لكن كلّ هذا لا ينفي الجانب الإيجابي الذي جعل مستقبليات المنجرة مستقبليات منحازة للعالم الثالث؛ مستقبليات مرتبطة بقيم الكفاح الوطني والنضال ضدّ الإمبريالية. حين كتب كتاب " الحرب الحضارية الأولى" كان يقصد أنّنا بدأنا بالفعل خوض هذه الحرب بعد غزو واشنطن للعراق. ولعله لهذا السبب اعتبر أن هينتنغتون هو من أخذ منه عبارة صراع أو صدام الحضارات. ومع أنّ هذا كله يجري مجري البوليميك المستقبلياتي للمنجرة فهذه العبارة قديمة ووجدت في نصوص الإسلاميين الذي استخلصوها بدوره من كتابات مستشرقين، حتى أن هينتنغتون نفسه كان قد استلهمها من المستشرق المخضرم:برنار لويس. وثمة عناوين كتب تناولت هذا الموضوع. فكرة الحرب الحضارية وجدت في نصوص إسلامية تعود إلى السبعينيات وما قبلها. لكنه في الحرب الحضارية لم يتناول مشكلة الاستبداد كجالب للغزو أيضا. ومن هنا سيبرر ذلك بأنّنا في الحرب الحضارية الأولى كنّا أمام ديكتاتورية ما بعد الاستعمار أما في المرحلة الثانية فنحن إزاء الفاشية الجديدة. وكان أحرى أن يقال أنّ هذه الأنماط هي أنماط متدرّجة من منبع واحد. يتحدث المنجرة عن الخوفقراطية باعتبارها عنصرا ن عناصر العلاقات الدولية السائدة، وهو في نظره دائما الخوف الذي أصبح مرجع التغيير الأساسي. وأحسب ذلك نقطة محورية في تحليل المنجرة لتفسير كل أشكال الفوضى الخلاّقة التي يعيشها العالم العربي اليوم. إنّ هذه الفوبيا الديمقراطية هي بالفعل مرجع للتغيير الأساسي. وهي شكل من أشكال التخريجات القانونية للممارسة الغزو والتدخل. كذلك فإن تشاؤمية المنجرة لا تلغي تفاؤله، بل تشاؤمية الحاضر لا تلغي تفاؤلية المستقبل، من هنا قوله بأنّ أبرز ما في علم المستقبليات هو إذكاء روح الأمل على المدى المستقبلي بالرغم من نتائج الحاضر التشاؤمية. ومع أنّ؟ه وقع في الكثير من صور التنظير وكذا الحجاج المستقبلي إلاّ أنه أحيانا يتذكر مهامه كمستقبلي يجب أن ينزل إلى الواقع. ليعترف يوما بأنّه ليس مفكرا ولا قارئا للمستقبل. ويضيف بأن المستقبل لا يقرأ ولكنه يصنع. فالأشياء التي ننجزها اليوم هي التي نجدها غدا. وهذه فكرة مهمة في إذكاء الاهتمام بالمستقبل. هذا الأخير لا يتوقف على استشرافنا وافتراضاتنا بل على ما نفعله في الحاضر. من هنا نستطيع أن نعتبر من خلال فكرة المنجرة بأنّ المستقبل هو الإبن البار للحاضر. وهنا أتساءل: هل المنجرة رجل تاريخاني أم هو مع فكرة الأثر الأوديبي على طريقة كارل بوبر؟

إن الحالة الثوروية التي تجتاح مزاج المنجرة هي ناتجة عن كونه ابن جيل صادف الحركة الوطنية التي تركت تصميما غائرا في ثقافته السياسية. وهو يروي هذه الحكاية بالقول:" الواقع أننا عشنا مرحلة الاستعمار، والناس من جيلي عاشوا هذه المرحلة. وشخصيا تعرضت للاعتقال خلال تلك الفترة، وشاركت في حركة التحرير المغربية وساهمت مع الجزائر وتونس وغينيا وتعاطفت مع الفيتنام حينما كنت بالولايات المتحدة الأمريكية"..لقد تحدث المنجرة عن أنه

مجلة الدراسات المستقبلية
Journal of Future Studies
http: jfs@sustech.edu

حلم ككل هؤلاء حين انعقاد مؤتمر باندونغ معتبرا أن الطريقة التي جاء بها الاستقلال كانت مرتبطة بالوضعية العالمية الدولية. وبالتالي لم تستطع هذه الدول أن تتحرر بالمفهوم الحقيقي، حيث كان الاستعمار يسرب هيمنته الثقافية والقيمية. ولعل أهم نقطة اهتم بها المنجرة هي وضعية الإعلام. قضية الإرهاب الإعلامي، وهو إرهاب في نظره يجري في كل لحظة. وهو أمر مقصود ومخطط له، بل هي طريقة في نظره تستعمل عادة لتعذيب المساجين.

تبقى مستقبليات المنجرة بداية تأسيسية تتطلب وقفة تأملية، وإعادة تأسيس، وتطوير لمواصلة علم لا زال جنينيا يتطلّب الكثير من التحقيق، والعلم، والتأمل أكثر مما يتطلّبه من الحجاج، والجماهيرية، والانفعال. في هذه المناسبة من ذكرى وفاة شيخ المستقبليات المغربية، كان لا بدّ أن نتحدّث بهذا القدر عن المنجزات، والأفكار وكذا العوائق بالمختصر المفيد، وكل ذلك من أجل النهوض بمستقبليات تليق بثقل الواقع ومستقبله.. رحم الله الفقيد المهدي المنجرة.